بسم الله الرحمن الرحيم

الخطة المنهجية لدراسة العلوم الشرعيّة

وصولاً إلى الورَاثة النبويّة

الحمدلله الذي علَّم بالقلم؛ والصلاة والسلام على النبي الكريم المكَرَّم، وعلى آله وصحبه وكلِّ مَنْ بلوائه اعْتَصَم، وبعد:

فهذه رسالة صغيرة كتبتها لي ولطلاب العلم أمثالي، يدور الكلام فيها حول طلب العلم الشرعي، وأهم ما جاء فيها خمسة أمور:

والعزم على إضافة الكثير من المواضيع إليها، ولكني خفت أن يطول الأمر، والمسارعة إلى الخير خير، وما لا يدرك كله... لا يترك جله، فعندي ورقات كتبتها عن منهجية طلب العلم في القرآن الكريم، مستمدةً من الآيات الكريمة وبحوث المفسرين حولها، وهناك نقولات جمعتها عن أهمية سهر الليل كله لطالب العلم، ودأب أكثر العلماء على ذلك، وفي العزم أيضا إكمال الخطة العلمية لتشمل أكثر العلوم الشرعية، إذ إني لم أذكر هنا إلا أهم عشرة منها، وكل المذاهب الفقهية؛ إذ اقتصرت على المذهب الشافعي فقط، وهناك أمور أخرى يسر الله إتمامها.

وإني في أكثر ما أوردته في هذه الرسالة لم أكُن إلا جامعا ومرتبا لما سمعته وقرأته من كلام الأكابر، فلست بأهل لأرشد نفسي حتى أتصدر وأرشد غيري، ولكنه حب خدمة طلبة العلم الشريف، عسى أن تنالني منهم دعوة صالحة تغير حالي إلى الأحسن إن شاء الله تعالى، هذا رجائي ممَّن انتفع بما سَطَّرَتْهُ يد العبد الفقير:

غَفَرَ الإلَهُ ذنوبَ هذا السَّاطِرِ...... وذنوبَ والديه معاً في النَّاظر

وكتبه: راجي عفو ربه

عبد السلام مازن أبو خلف

فلسطين/ القدس الشريف

٢٦ ذي الحجة ١٤٣١هـ

٢/ ١٢ / ٢٠١٠ م

Abedalsalam.202@gmail.com

تعريف عام بعلوم الإسلام

إن العلوم الشرعية التي يجب شرعاً تعلُّمُهَا على الكفاية إما أن تكون علوماً مقصودةً للشارع بالذَّات؛ وهي المسماةُ بعلوم الغايات، وذلك لأنها غايةٌ في نفسها، وإما أن تكون علوماً مقصودةً للشارع بالتَّبَع، لكونها علوماً آليةً يُتوصَّل بها إلى العلوم الشرعية ويُتَوسَّل، كعلوم اللغة العربية التي لا تفهم نصوص الكتاب والسنة إلا بها، وتسمى هذه العلومُ بعلوم الآلات.

وعلوم الآلات أربعة:

فالعلم الآليُّ الذي يضبط صحة نقل نصوص السنة والآثار هو علم مصطلح الحديث.

والعلم الآليُّ الذي يضبط صحة فهم الشريعة عموما والأحكام العملية خصوصا هو علم أصول الفقه.

والعلم الآليُّ الذي يضبط صحة التفكير والنظر هو علم المنطق.

والعلم الآليُّ الذي يضبط صحة الكلام وبلاغته هو علم العربية، وهو أنواع:

١ - علم متن اللغة[١]: وهو يبحث في الكلمة المفردة من حيثُ مادَّتِها؛ أي معناها اللُّغوي.
٢ - علم الصرف: وهو يبحث في الكلمة المفردة من حيث صيغتها؛ أي بُنْيَتها الصرفية.
٣ - علم النحْو: وهو يبحث في الكلام المركَّب من حيث صحة تركيبه بضبط أواخر الكَلِم.
٤ - علم المعاني: وهو يبحث في الكلام المركَّب من حيث مطابقته لما يقتضيه حال المخاطب.
٥ - علم البيان: وهو يبحث في الكلام المركَّب من حيث تفاوت مراتبه في وضوح الدَلالة وخفائها بالنسبة للمعنى الواحد.
٦ - علم البديع: وهو يبحث في الكلام من حيث تحسينه وتزيينه بعد رعايةِ: مطابقتهِ لمقتَضى الحال، ووضوح الدلالة وخفائها.

[١] هذا العلم ليس آليا، وباقي العلوم بعده آليّه، وإدخاله فيها من باب المسامحة، إذ كرهت إفراده عن إخوانه من علوم اللغة، والله أعلم.

هذا بالنسبة لعلوم الآلات، وأما بالنسبة لعلوم الغايات، فهي ما طلب الشارع منَّا عِلْمَهُ من معاني الكتاب والسنة وما دلّا عليه، وأهمُّ ما طلب الشارع منَّا علمه في كتابه وسنة نبيه هو أحكامه تعالى المتعلقة بأفعال المكلفين، أي الأحكام الشرعية.

فالعلوم الباحثة في معاني كتاب الله وسنة رسوله هي من علوم الغايات، وهي علمان:

١ - علم التفسير.
٢ - علم شروح الحديث.

والعلوم الباحثة في الأحكام الشرعية المتعلِّقة بأفعال المكلَّفين هي من علوم الغايات أيضا، وهي ثلاثة علوم؛ لأن الحكم الشرعي إما:

أن يتعلق بكيفية الاعتقاد، فالعلم الباحث عنه هو علم العقائد.

أو يتعلق بكيفية العمل الظاهر، فالعلم الباحث عنه هو علم الفقه.

أو يتعلق بكيفية العمل الباطن، فالعلم الباحث عنه هو علم التزكية والتصوف.

فعلم العقائد هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإقامة الحجج ودفع الشبه، وعلم الفقه هو العلم باللأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وعلم التزكية والتصوف هو علم بكيفية التحقق بالعقائد والفقه حضورا وشهودا على سبيل الكمال، فيتخلق بكل خلق سني، ويتخلى عن كل خلق دني، إلى أن يصبح خلقه هو القرآن، ومقامه هو الإحسان، فهذه العلوم الثلاثة معا تضمن إيصال البشرية إلى أعلى مراتب الكمال في الدنيا والآخرة؛ أفرادا وجماعات، هذا الضمان هو أعظم مقاصد القرآن؛ تفضلا وإحسانا إلينا من الرب المنان، بواسطة رسول الرحمة النبيِّ العدنان.

واعلم أخي الحبيب أنَّ العلماء إنما قسَّموا العلوم وفصَلوها عن بعضها لتسهيل دراستها والإحاطة بها، وإلا فهي في الواقع لا تنفصل، فإن امتثال الأحكام المتعلقة بالظاهر دون الباطن يعني أن تكون الأعمال صوراً قائمة لا روح فيها، وامتثالهما معا من دون اعتقادٍ صحيحٍ لا معنى له؛ إذ الاعتقاد الصحيح شرطٌ في صحة العمل الظاهر والباطن؛ فغير المؤمن لا ينفعه عمله ولو كان بعدد ذرَّات الرمال، وعلى هذا فيجب على العالِمِ أن يكون مُلِمًّا بها جميعا، وإلا حصل الخلل في وراثته النبويَّة، وَ وظيفتهِ العليَّةِ العالَميِّة.

ضرورة وجود طريقة ومنهجية صحيحة لدراسة العلوم الشرعية

والتحقق من وجودها عند الأقدمين والمعاصرين

بعد أن عرفنا ما هي أهم العلوم التي يجب على طالب العلم أن يدرسها ويتضلَّع فيها، يتوجب علينا أن نذكر الكيفية التي تُدْرَسُ فيها هذه العلوم، أو بعبارة أخرى: الطريقةُ التي على طالب العلم اتِّباعها في دراسة العلوم الشرعية؛ إذ إنه من المعروف بداهة لتحصيل أي علم أنه لا بُدَّ من طريقة تُسْلك؛ يُتوصَّل بها إليه، ومن المعروف أيضا أنه لا يوجد طريقة معينة تصلح لدراسة كل العلوم الدينية والدنيوية، بل لكلِّ علمٍ ما يناسِبه من طُرُق الدراسة والتعلُّم، فما يصلح لعلمٍ قد لا يصلح لآخر.

نعم، هناك قدر مشترك بين كلِّ العلوم:

- إذ كل العلوم يُبتدأ فيها بالسهل البسيط لا بالصعب المعقَّد.
- وكُلُّها يُعْطَى في البداية على وجْهِ الإجمال والعموم، ومن ثم يكون التفصيل والتخصّص؛ إذ يستحيل أن تجد متخصِّصا دقيقا في أحد جزئيات علم الطب مثلاً من دون أن يكون مُلِمًّا إلماماً عامَّاً بكل أجهزة جسم الإنسان، و قلْ مثل ذلك في سائرِ العلوم.
- وكثير من العلوم يَتَوقَّفُ الخَوض فيها على علوم أخرى، كتوقف دراسة علم الهندسة على علم الرياضيات، فيَنبغي للمهندس أن يَدْرُس قدر حاجته من علم الرياضيات قبل أن يخوض في علمه وتخصصه.
- وكل العلوم بلا استثناء؛ لا يستطيع الطالب المبتدئ فيها أن يبتكر ويضيف أمورا جديدة على العلم الذي يدرسه إلا بعد أن يقطع في هذا العلم شوطا لا بأس به، ويحيط بمجامعه وعويصاته[٢].

---

[٢] هذا في جميع العلوم حتى الدنيوية منها، وأما سلفية هذا العصر أو حداثيوه، فكثير منهم يتبجح برفع راية الإجتهاد والتجديد في العلوم الدينية من دون أن تكون لهم قدم راسخة –ولو قليلا– في بعض هذه العلوم، فبعضهم في رتبة العوام، وبعضهم أعلى قليلا، ولكني حتى الآن لم أجد منهم واحدا قد أنهى دراسة المستوى الثالث من العلوم التي تتوقف صحة الإجتهاد عليها من علم النحو والصرف والبلاغة وأصول الفقه وغير ذلك، فإذا علمت أنهم لم يكملوا دراسة المستوى الثالث أصلا –الذي يعد من أحكمه في رتبة عوام العلماء فقط– فكيف بربك يتهجمون على كتاب الله وسنة رسوله بأفهامهم السمجة، بل كيف يكثرون الطنين حول التجديد في العلوم وهم ليسوا حتى من عوامِّ =

- وكل العلوم بلا استثناء هي علوم تراكمية، اي يبتدأ الباحث الثاني فيها من حيث انتهى الباحث الأول، ثم يَرُدُّ البعض، ويأخذ بالبعض؛ ويَزيدُ ويُطوِّر، ثم يأتي من بعده وهكذا... فالمتأخر ينطلق من حيث انتهى إليه المتقدم، وهكذا لا يزال العلم يزدهر ويتطور، ولو أن كل باحث في علم ما، ابتدأ من نقطة الصفر لما تطور عِلْمٌ ولا ازدَهَر، ولبقي الباحثون في هذا العلم محصورين في المربع الأول منه؛ إذْ كيف تُثْمِرُ العلوم من دون أن تتلاقَحَ أفكار العلماء فيها، وتتلاحق الإنجازات والإضافات عليها، لا وربك لا تثمر إلا بتلاقح وتلاحق، سنَّة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

هذه نقاطٌ منهجيةٌ تشترك فيها كلُّ العلوم، ومع ذلك؛ فللأسف الشديد، لقد تخبَّطَ دارسو الشريعة في هذا العصر في كيفية وطريقة دراستهم للعلوم الشرعية، حتى خالفوا في ذلك أبسط بَدَهيات العلوم وأجْلاها، من مثل النقاط التي تقدَّم ذُكرها، هذا عِوَضاً عن مخالفتهم لنقاطٍ أخرى في كيفية ومنهجية الدراسة التي تختص بها العلوم الشرعية دون غيرها من العلوم.

العلماء، مع أن التجديد لا يكون إلى من أكابر العلماء الراسخين الذين حصّلوا مَلكات العلوم التامة بعد أن قتلوها بحثا وتحقيقا، أليست استهانتهم بمقام الإجتهاد والتجديد في الدين لأكبر دليل على استخفافهم في الدين نفسه، بل في الله ورسوله ورتبة كلامهما، نعم والله.

انظر مثلا إلى أدعياء الإجتهاد ممن يطلقون على أنفسهم "سلفية" كالألباني، وإلى أدعياء التجديد ممن ينتمون إلى المدرسة المقاصدية كالريسوني، وقد اطلعت مؤخرا على كتاب "**في فقه الإجتهاد والتجديد**" لشخص يدعى يحيى رضا جاد، يجمع كل شيء إلا العلم، ويتقن كل شيء إلا أصول الفهم، ويحسب نفسه على شيء، مسكين ولله مسكين، انظر مثلا إلى كلامه في القرائن الحالية والمقالية، وعلم البيان والمعاني، ومقتضيات الأحوال(ص١٠٠-١٠١)، ثم اضحك وتعجب ما شئت، والغريب أن كلامه يوهم أنه من المحققين في علوم البلاغة وأصول الفقه، ويتهم الكثيرين بجهلها، وقد ينطوي كلامه على المبتدئين الذين لم يحققوا المستوى الثاني في هذه العلوم، ويحسبون أنه على شيء، وهذا تغرير وغش، فالمتشبع بما لم يعطَ كلابس ثوبي زور.

والله أرجو أن يلطف به وبأمثاله من الأذكياء الذين طلبوا العلم على غير هدى، فأحسنوا الظن بأنفسهم وأساؤا الظن بعلمائهم، فلا حصّلوا العلم ولا الأدب مع أهله، وما ضره وأمثاله لو تمهلوا و درسوا أصول الفقه –مثلا– بالتدرج إلى أن يحققوا المستوى الثالث فيه من مختصر ابن الحاجب وشرح العضد عليه وحواشي السعد والسيد، أو جمع الجوامع بشرح المحلي وحاشية العطار أو العبادي، فهذه الكتب قد جمعت خلاصات بحوث العلماء، فاليهضمها أولا ثم كلنا آذان صاغية لكلامه ونقده وتجديده، بل واجتهاده، لأن كلامه ونقده حينها سيكون عن بصيرة ببحوث العلماء ومذاهبهم، وما انتهوا إليه، والله أعلم.

مُنْذُ أربعةَ عشرَ قرْناً، والعلماء المسلمون يسيرون في دراسة العلوم وتحقيقها على المنهاج السويِّ والطريق المستقيم، وكانوا لا يألون جهدا في تدوين العلوم وتنويع الأساليب في عرضِها بما يتناسب مع كل علمٍ وطالب علم؛

- فهناك المختصر للمبتدئين، وهنالك المطوَّل للمتقدمين، وهناك ما بَيْن بَيْن.
- وهناك ما يصلح للقراءة والمطالعة الفردية، وهناك ما لا يُقرأ إلا بمساعدة شيخٍ راسخٍ حاذق.
- وما يراعى فيه حال المبتدئ، غير ما يراعى فيه حال المتوسط أو المنتهي:

- **فالمبتدء** ينبغي عليه أولاً أن يُصَوِّرَ مسائل الفنِّ الذي يَدْرُسُه، وأن لا يُشوِّشَ ذهنه بالخلافات أو كثرة التفريعات.
- **والمُنْتَهي** لا بُدَّ له من التمكُّن من إقامة الدلائل على المسائل، وتوجيه الأدلة وتحرير مَحَلِّ النزاع، والرَدِّ على أدلة المخالف، وغير ذلك مما يَليق بمقامه الذي لم يصل إليه إلا بعد أن مَرَّ بمراحلَ وأطوارٍ عديدة.

ولا نزاع في أن بعض طُرُق الدراسة وأساليبها ووسائلها قد تختلف من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى آخر، بل ومن شخص إلى آخر، فمثلا اعتاد علماءُ المسلمين لعدة قرون أن يُدوِّنوا علومَهُم على طريقة المتن والشرح والحاشية، وكانت هذه الطريقة بالنسبة لهم في غاية الإفادة والجودة، فجميع ما جادت به قرائحهم أو أغلبه قد دَوَّنُوهُ على هذه الطريقة، وفي هذا العصر صار أسلوب كتابة العلوم وتدوينها مختلفاً بعض الشيء، فما كان مناسباً لعدة قرون مَضَتْ؛ أصبح بالنسبة للبعض غير مناسب، وإلى هنا لا زال الكلام مقبولا ومنطقيا، فعلى من يستطيع من العلماء: أن يكتب العلوم الشرعية المختلفة بالطريقة التي اعتادها أهل هذا العصر، فهذا أمر مطلوب وطيب.

ولكنَّ المرء يُصعق عندما يرى البعض قد جعل من طريقة الكتابة –مع كونها مجرد وسيلة متغيرة– مقياسا لصحة هذه العلوم أو فسادها، ولسببٍ أو لآخر... يحكم بالسخرية والاستهزاء والتخلف والرجعية على كُلِّ ما دُوِّنَ من العلوم خلال تسعة أو عشرة قرون، أو أكثر من ذلك أو أقل، حقاً إنها مصيبة.

وهكذا بدأ الانشراخ في علوم الإسلام، وهكذا عمَّ الشرُّ وطَمّ، واتَسَعَ الخرق على الراقع، واعتلى منابر العلم من ليس له بأهل، وصارت هذه الأوهام —بالنسبة للكثيرين– حقائق، وهذه الأحلام المزعجة وقائع.

الفساد الديني العظيم الذي ترتب على الدعوات المشبوهة الطاعنة في مناهج العلم والعلماء، والتوصيف الشرعي لهؤلاء الأدعياء، وطريقة العلاج الشرعية.

نَعَمْ، فُتِحَ باب الاستهزاء البارد بالعلوم وأهلها، ولم يغلق حتى الآن، وفتح باب الاستخفاف أيضا، فالبعض يستخف بكل التراث، والبعض بالبعض، والبعضُ المستَخَفُّ به يختلف تَعيينُه من بعضٍ إلى آخر، وهكذا عمَّ الاستخفاف وشرى، ولم يسلم منه شيء، فالكلُّ من حيث الجملة مستَخَفٌّ بِه، وإن تفاوت الاستخفاف من شخص لآخر، وإن اختلف المستَخَفُّ به من فئة إلى أخرى، وإن اختلفت غاية كل فئة؛ فأتباع السلفية الوهابية لهم غاية، وأتباع مدرسة محمد عبده التحديثية لهم غاية، وأتباع أهوائهم من أشباه العلماء لهم غاية، والمستشرقون وأعداء الدين لهم غاية، فالتقت أصوات الراغبين في القضاء على الإسلام من الخارج بأصوات السذج وأهل الأهواء من الداخل، فاهتزت ثقة المسلمين–وخاصة المثقفين والسياسيين– في دينهم ولو في العقل الباطن فقط.

وهكذا أعان أبناء جلدتنا –بقصد أو بغير قصد– على ضرب الإسلام في عقر داره، من خلال ضرب وحدة الأصول الفكرية لهذا الدين، فحصل التفرق والتشرذم، وتكلَّم في الدين والعلم كل من هبَّ ودبّ، فانهارت قوتنا السياسية المتمثلة في الخلافة النبوية تبعاً لانهيار قوتنا الفكرية المتمثلة في الوراثة النبوية–أي العلماء الراسخين العاملين؛ الوارثين علومهم عن سيد المرسلين–.

والدليل على ذلك قول الله تعالى" الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا؛ كل حزب بما لديهم فرحون"، فهؤلاء– أهل الكتاب– قد صدر منهم فعل التفريق، تفريق مَاذا؟ تفريق الدين؛ أي تفريق الأصول الدينية لا الفروع الخلافية؛ لأن الخلاف في الفروع الظنية لا يسمى تفرقا، وهو غير مذموم شرعا، بل ومطلوب، وهذا التفرق في الأصول الدينية ترتب عليه الفرقة السياسية، وكان كل المتفرقين فرحين بما عندهم من الآراء الدينية والزعامة السياسية.

والسؤال هنا.. ما العمل؟ والجواب أن نصر الإسلام يكون من الثغرة التي غُزِيَ منها، لهذا قال الله تعالى:" أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"، فإقامة الدين تكون بعملنا نحو وحدة فكرية دينية تضاد الفرقة التي حصلت فيه، والتي نهينا عنها في اللآية السابقة، والتي كان من أهم أسباب وقوعها فينا الطعن والإستهزاء في هذه الأصول الدينية، أو في العلوم التي تعصم مراعاتها عن الوقوع في مخالفة هذه الأصول

والتفرق المذموم فيها، فهذه الأصول الدينية هي التي دَلَّت عليها الآيات المحْكمات، والتي هي أمُّ الكتاب، أي أصْلُه، والمتَّبعون لهذه المحكمات هم فقط العلماء الراسخون كما نصّت عليه الآية في أول سورة آل عمران، فالعلماء الراسخون هم الضمان الأكيد لاتباع المحكمات وإرجاع المتشابهات إليها، هذه المحكمات هي أم الكتاب؛ أي أصله، أي أصول الدين[٣].

والفريق الذي يقابل الراسخين في العلم هم "الذين في قلوبهم زيغ" بنص الآية نفسها، وهؤلاء الذين في قلوبهم زيغ إما أن يكون اتباعهم للمتشابهات –المستلزم للتفرق في الدين– بقصد إفساد الدين أو لا عن قصد–ولكنه لا يعذرهم–.

فقد قال تعالى في نفس الآية السابقة:" فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"، أي معرفة معانيه، فهؤلاء لما تصدروا لبيان معنى المتشابه مع كونهم ليسوا من الراسخين في العلم، كان تصدرهم هذا أمارةً على أن في قلوبهم زيغ، وكان أيضا سببا في التفرق في الدين وإيقاع الفتنة فيه.

فهناك–كما قال أهل التفسير– تلازمٌ بين وقوع الفتنة وتأويل الدين على خلاف محكمه، فكل من لم يكن من الراسخين في العلم وتَتَبَّعَ المتشابهات فهو من الذين في قلوبهم زيغ، وسواءٌ كان قصده سيئا أو لا؛ فإن مآل فعله أمران:

- وقوع الفتنة في الدين، وبين المسلمين.
- تأويل الدين على خلاف المحكمات والأصول، وهو التفرق في الدين بعينه.

قدَّمنا لك يا رفيقنا –في طلب العلم– كلَّ ذلك واستطردنا فيه؛ لتعلم علماً يقينياً أن فسادَ منهجِ طلب العلوم الشرعية– والذي يؤدي بالضرورة إلى عدم وجود علماء راسخين في العلم– هو أحد المقاتل الكبرى التي أصابت من الدين الكبد، وطعنته في ظهره، وكانت سببا في التفرق والتشتت الذي نحن فيه، سواء كان التفرق سياسيا أو في الأصول الدينية–وهي الأهم–، وقد تقدم أن التفرق الفكري الديني مستلزم للتفرق السياسي والهزيمة، مصداقا لقوله تعالى"الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا" أي جماعات تشايع كلٌّ منها إمَامَاً.

[٣] ليس المقصود من أصول الدين هنا هو علم العقائد فقط، بل كل أصلٍ دينيٍ ثبت بأدلةٍ محكمةٍ، سواءٌ كان هذا الأصلُ من العقائد أو الفقه أو التصوف أو منهجِ فهمِ النصوص واستنباط الأحكام.

وإذا عَرَفت أن الدولة الإسلامية قد تفرّقت في هذا العصر إلى ستة وخمسين دولة، وأن الزعامة العلمية الصحيحة قد ادَّعَاها عشرات الألوف من أشباه المشايخ الذين تحوْلَقَ حَوْلَ كُلّ واحدٍ منهم مجموعةٌ من المشايعين، أقول: إذا عرفت هذا عَرَفْتَ مقدارَ التفرُّق الواقع في الأصول الدينية، والناتج عن ندرة الراسخين في العلم، هذه الندرةُ التي كان أهم أسبابها هو فساد مناهج التعليم الشرعي في هذا العصر، الذي كان سببه أشباه العلماء، والذي خرّج لنا أشباه علماء أيضا، وأشباه العلماء هنا هم الذين وصفهم الله بأنهم "الذين في قلوبهم زيغ"، فاربط قلبك وعقلك على الحق ولا يغرك كثرة الهالكين من المعاصرين، وإن زعموا لأنفسهم من الألقاب ما زعموا:

القابُ مملكةٍ في غير موضِعِهَا ....كالهِرِّ يَحْكي انتفاخاً صَولةَ الأسَدِ

وعليك بجماهير علماء الإسلام على مر العصور ومنهجهم في طلب العلوم وتحقيقها إلى أن يبلغوا من خلالها درجة الراسخين في العلم، الذين هم الوارثون الحقيقيون لسيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام، ومن الظاهر بوضوح جدا أن طروء الضعف على مناهج العلم والعلماء الراسخين يعني ضعف الإرث النبوي فينا، والذي هو عمود فقار الإسلام وأُسُّه، وهَلْ كان للإسلام وجودٌ قبل مبعث النبي عليه الصلاة والسلام؟ لا قطعا!! وكذلك لا بقاء له إلا ببقاء الوراثة النبوية، وبقدر مطابقة وُرَّاثِ النبوَّةِ لنبوَّةِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام يكون كمالُ حال الإسلام والمسلمين في الدنيا والآخرة، والعكس صحيح.

وأعود وأقول: أن جميعُ المستَخِفِّين بعلوم العلماء_ لا أستثني منهم أحداً_ لا يَبْلُغون في علمهم رُبْعَ مِرْباعِ عَتَاوِلَة العلماءِ المستَخَفِّ بهم، ولكنَّه الجهل قد عَشعَش في رؤوس القوم وفرَّخ، فأكثرُ انتقاداتهم واعتراضاتهم واتهاماتهم بَعْدَ النَّظَرِ والتمحيص فارغةُ المحتوى؛ لا تدلُّ على شيءٍ بقدر ما تدلُّ على جهل هؤلاء بما كتبه العلماء الأكابر أصلا، إنهم لم يقرأوا من علومهم إلا شزَرَا، وأكثر كا قرأوه ما فهموه، يَعْلَمُ ذلك كلُّ من أبى أن يسير في تيَّار الجهل والظلمات مقلِّدا، وشمَّر عن ساعد الجدِّ وطلب العلم من منابعه وموارده.

يُدرك ذلك ليس العلماء الأكابر فقط، بل صغار طلبة العلم المجدِّين الذين أنهوا المرحلة الأولى من مراحل طلب العلم، وهي مرحلة المبتدئين، ولكن مرحلة المبتدئين السائرين على نهج العلماء المتقدمين الأكابر، لا مرحلة المبتدئين السائرين على نهج أشباه العلماء الأصاغر، نَعَمْ إنه كلام مرٌّ، ولكنَّهُ مُرُّ الحق

الذي يَجب أن نذكره ونُعْلِنَ به على رؤوس الأشهاد، غير آبهين بمعترضٍ ولا صارخٍ ولا ناعقٍ ولا بأكثر من ذلك ولا أقل.

فمن نصر الله بسخط الناس، نصره الله، وأرضاه، وأرضى عنه الناس، والعكس صحيح.

وحتى لا نطيل في بَيانِ زَيْفِ تلك المناهج والمشارب، فتمتعض –لسفاهتها– نَفْسُ كلِّ طالب وراغب، نبدأ بعون الله ومدده في بيان الطريقة الصحيحة لطلب العلوم الشرعية، وبيان الكتب التي ينبغي على طلبة العلم أن يدرسوها، وغير ذلك من الأمور، ونكون بذلك قد اجتنبنا الطرق والمناهج غير السوية، فبضدِّها تتمايز الأشياء.

الطريقة الصحيحة لطلب العلوم الشرعية وتكوين العلماء

١ – التدرج في تحصيل ملكات العلوم:

فالطريقة السوية عند العلماء الأكابر لدراسة أي علم من العلوم تكون بالتدرج المتوازي في ثلاث مستويات، أي إن العلم الواحد يتم دراسته تدريجيا في ثلاث مستوياتٍ سابقةٍ لمرحلة التخصُّص .

المستوى الأول: للطلبة المبتدئين

المستوى الثاني: للطلبة المتوسطين.

المستوى الثالث: للطلبة المنتهيين.

وقد وضع العلماء لكل مستوىً دراسيٍّ كتباً معينةً تتناسب معه، وتلبِّي الحاجة المرجوة منه، وهذه الحاجة كما نص عليها العلَّامة ابن خلدون في مقدمته: هي تكوين مَلَكَةٍ علميةٍ للطالب في العلم الذي يَدْرُسُ فيه، وهذه الملكةُ العلميةُ ليست ملكةً كاملةً وتامة، بل هي ملكة تتفاوت مرتبتها وحقيقتها بتفاوت المستوى الذي يَدْرُسُ فيه الطالب، فهناك لكلِّ مستوىً من هذه المستوياتِ الثلاثةِ مَلَكةٌ تَخُصُّه، ينبغي أن يُراعَى إيجادُها وتحقيقها في الطالب، وهكذا تُصْقَلُ شخصية طالب العلم، وتصقل ملكاته العلمية، ويُتَدَرَّجُ في تكوين شخصيته العلمية تدرجاً مدروساً ومحكماً بعيداً عن التَخَبُّطِ والعشوائية.

فيُراعَى في المستوى الأول مثلاً أن يَخْرُجَ الطالب مِنْهُ وقد تَحَصَّلَ على مَلَكَةٍ يَقتدر مَعَها على تصوير أُمَّهَاتِ مسائلِ الفنِّ تصويرا محكماً، فهو قد دَرَسَ جميع الأبواب في هذا الفن، ودرس أمهات المسائل التي ينبني عليها غيرها من الفروع الكثيرة، والتي سيأخذها في المستوى الثاني.

ففي هذا المستوى لا ينبغي للطالب أن يدرس الخلافات الواقعة في المسائل لئلا يتشوش ذهنه ويتشتت، ويخلط بين المذاهب المختلفة كما لا ينبغي له تَتَبُّعُ الأدلة عِوَضاً عن الترجيح بينها، إذ كيف يتتبع أدلة مسألة معينةٍ وهو بَعْدُ لم يُحسِن فهْمَها ويُحكِم تَصَوُّرَهَا ويَضْبِطَ الفرْق بينها وبين ما شابهها من المسائل، ويَضبط الفرق بين تصوُّرِ مذْهبه للمسألةِ وتصورات المذاهب الأخرى، وهذه الأمور وغيرها كثيرٌ لا يَعْلمها طالب العلم المبتدئ، فأنَّى له تَتَبُّعُ الأدلة وذِكْرُ الراجح من الآراء عنده، ومَنْ هو في العلم حتى يكون له فيه "عندٌ" أصلا، إننا لا نحجر على عقل أحد أبدا، ولكنَّا نريد أن ندخل البيت من بابه لا من

مصارفه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما العلم بالتعلم"، وليس بالدعاوى الكاذبة، ولا القفزات المتهورة.

نعم، في غير المستوى الأول من المستويات المتقدمة يَتوَجَّبُ على الطالب البحث عن الأدلة والنظر فيها، فالعلم لا يحلو إلا بالأدلة، بل العلم لا يطلق على ما لم يكن إدراكه عن دليل إلا مجازا؛ فالعلم ما كان عن دليل، ولكنَّ هذا عند من كان أهلاً لذلك، وليس لكلِّ أحد، ورحم الله من عرف قَدْرَ نفسه، وأعطى القوس باريها، ولم ينازع الأمْرَ أهْلَه، فالأمر دينٌ وليس بلعب ولا هَزْل.

٢ – فساد رأي الشيخ محمد عبده الذي نعيش حاليا ويلات تجديده المزعوم في العلوم الشرعية[٤]

ومن هنا تَعْلَمُ سقوط دَعْوَى مَن يُحَرِّضُ طلبة العلم على ترك كتب المتأخرين من مثل ألفية ابن مالك وكافية ابن الحاجب في النحو مثلا، ويدعوهم إلى التمسك بكتب المتقدمين من مثل " الكتاب" لسيبويه في النحو، و "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني في البلاغة، نعم هي دعوى ساقطة لأن كتب المتقدمين غير صالحة للتدريس كما هي كتب المتأخرين، فهي ليست كتبا موضوعة لتعليم النحو والبلاغة، بل إنَّ الذي يَبْتَدِأُ فيها يَتَشوَّشُ ذِهْنُه ولا يَخْرُجُ منها بفائدة تذكر، بينما تجد كتبَ المتأخرين منقحةً محررةَ الأصول والقواعد بما يليق بمستوى الدارس ومرتبته، وهذا هو شأن العلوم كما ذكرنا سابقا من كونها تراكمية، فليس علم النحو المدوّن في أول العصور كالمدوّن آخرها، فلا زال العلماء ينقّحون ويستدركون ويقعّدون ويرتّبون حتى أصبحت الكتب المدونة في النحو –وغيره من العلوم– في غاية التحقيق والكمال، أفنرجع بعدها لندرس كتب العلم وهو في لا زال في مهده، لا؛ بل ندرس كتبه بعد أن نضج واستوى، وبعد أن نتعلمه ونفهمه نقرأ حينها ما كتبه الأولون والآخرون، وسنعلم حينها ما الجهد الذي بذله العلماء في تنقيح العلوم وتحقيقها، فإن وجدنا شيئا فات المتأخرين استدركناه، أو أخطؤا فيه صوَّبناه، فليست العصمة لأحد غير الأنبياء، هذا هو منهج العقل والعقلاء.

وليس هذا الكلام السابق من كيسي ولا من جعبتي، بل هو ما اتفق عليه العلماء الأكابر في الأزهر وغيره –عندما كان الأزهر أزهرا تدرس فيه علوم الأكابر–، وهاك كلام أحد أساطين اللغة والأدب الذين جاؤوا بعد محمد عبده ومحمد رشيد رضا ورأوا ثمرات تجديدهم المزعوم، قال الأستاذ العلامة محمود شاكر في مقدمة كتاب أسرار البلاغة ما نصّه:

" آه ! لقد مضى على الأمة العربية الإسلامية نحوٌ من ثلاثة عشر قرناً، لم نسمع في خلالها دعوةٌ تحرِّض طلبة العلم على إسقاط كتب برُمَّتها من حسابهم، وتحثُّهم على رفضها وترك النظر فيها، ولذلك قلت آنفاً: إن الذي جرى على لسان الشيخ محمد عبده(في أوائل القرن الرابع عشر) في حركته مع شيوخ الأزهر، طلبا لإصلاح التعليم في الأزهر، **كان أول صدع في تراث الأمة العربية الإسلامية،**

[٤] هذا العنوان مرتب على العنوان الذي قبله في الحقيقة، فليس مقحما في غير موضعه، وأترك لك التأمل في وجه هذا الترتب.

ثم تلقَّفَ كلامَه تلامذتُه فردَّدُوه..." ولا زال هذا الصدع موجودا وأنصار هذا التيار يُرَدِّدون، وقال الشيخ محمود شاكر أيضا:

"كتاب سيبويه لا يُعَلِّمُ طالب العلم النحو، إلا إذا مهَّد له الطريقَ ابنُ عقيل وابن هشام والأشموني، وإلا فقد قذف نفسه في المهالك"، ثم قال:

"كل من دَعَا طلَّاب العلم إلى الإعراض عن الكتب التي قعَّدت القواعد، ومحَّصت الكتُبَ التي تُعدُّ أصْلاً في علمٍ لم يسبقْهُم إلى مثله سابق-كسيبويه وعبد القاهر-، وحثَّهُم على الرجوع إلى الأصْل وحْدَه دون استعانةٍ بمن قعَّدوا قواعد هذا العلم، وقتلوه بحثاً وتنقيباً، فقد استهان بعقول هؤلاء الأئمة العظام الذين خدموا العلم بإخلاصٍ وَوَرَعٍ جيلاً بعد جيل، وعوَّد طلبة العلم أن يستهينوا ويستخفُّوا بالعلم نفسِه، وهذا هو البلاءُ الماحقُ لكلِّ فضيلةٍ في طالب العلم، ويخرجه من حيِّز التواضع في طلب العلم، إلى حيز الغرور والتبجح والاستطالة، بعلمٍ ليسوا منه في قبيلٍ ولا دَبيرٍ"[٥].

[٥] محمود شاكر، مقدمة محمود شاكر لكتاب "أسرار البلاغة" للإمام عبد القاهر الجرجاني، ص٢٦-٢٧، شركة القدس للنشر والتوزيع.

٣ – التدرج في العلوم مطلوب عموديا وأفقيا أيضا، وإلا...؟

وأمرٌ آخَرَ مُهِم، وهو أن العلم الواحد كما يجب أن يطلب بالتدرج عموديا–المرحلة الأولى ثم الثانية...– كذلك يجب أن تطلب كل العلوم الشرعية اللازمة بالتوازي أفقيا، فينبغي على الطالب أن يترقى في جميع العلوم معا؛ فيدرس المستوى الأول منها جميعا، ومن ثم يبدأ بالتخصص والتعمق في أحد هذه العلوم حتى النهاية، فإن ساعده العمر والوقت والجسم على التخصص في غير ما تخصص به أولا ، فبها ونعمت، وهكذا ترى أن طالب العلم مهما قد أنهى المستويات الثلاثة فقد أصبح من عوامِّ العلماء[٦]، وهو ليس بشيء قليل، فتكوينه العلمي محكم البناء راسخ القواعد.

أما لو أنه قد أنهى المستوى الثالث في بعض العلوم وهو لم يُنْهِ بعد المستوى الأول في بعضها الآخر، فهنا يحصل الخلل، ويَنشأ الغلط والتخليط، وتكون مَلَكَةُ هذا العالم ناقصةً وغير مكتملة، حتى إن ضعفه في بعض هذه العلوم سيُدْخِل عليه الغلط في علمه الذي تمكَّنَ منه، إذ العلوم الشرعية مترابطة فيما بينها، يمسك بعضها برقاب بعض، والتفريق بينها إنما حصل لأجل تسهيل التعلم لا غير، هذا إذا كان هذا العالم يتكلم في علمه وفنه، فما بالك لو تكلم بغير علمه وفنه، حينها يصدق عليه القول المشهور " من أفتى في غير فنه أتى بالعجائب"، وتَصَوَّرْ عندما يكون محل هذه العجائب هو الدين وعلومه.

نعم، روايات الفقهاء، وفقه المحدثين من حيث هما كذلك لا يُعوَّل عليهما، وقِسْ على ذلك باقي العلوم، وهذا أمر قد ظهر من أيام السلف من التابعين وتابعيهم، حيث روي عن كثير منهم أن " الحديث مضلة إلا للفقهاء" وأن أهل الحديث يَضِلُّونَ إن لم يتفقهوا، راجع هذه الأقوال وغيرها في كتاب " الجامع " للإمام الفقيه المحدث الأصولي ابن أبي زيد القيرواني، وتأمَّل في وصف الإمام مالك لابن عجلان المحدِّث أنه ليس من الفقهاء، وذلك عندما كان يتحدث إمام الناس بأحاديثَ قد يُتَوَهَّمُ منها التجسيم والتشبيه، أي ليس له فقه في الدين، وإنما هو ناقل فقط.

وبهذا تعلم سبب التخليط الذي وقع فيه الإمام ابن خزيمة في كتابه "التوحيد"، حتى أن بعض أكابر العلماء كان يقول عن كتابه إنه كتاب "الشرك" وليس كتاب "التوحيد"، فالإمام ابن خزيمة أحد اكابر

[٦] يقال في مقابل "أكابر العلماء"، فينبغي للعالم على الأقل أن يكون من الأكابر في تخصصه، ومن عوام العلماء في غير تخصصه، والله أعلم.

المحدثين، ولكنه ليس له باعٌ في علم العقائد فأتى في كتابه هذا بما يقف له شعر الرأس، وقد تبين لك أن هذا الامر عاديٌّ عند من تمكن في علم دون علم، ومع ذلك أفتى في غير العلم الذي تكمن فيه، ولله في خلقه شؤون.

النتيجة السلبية لتعلم بعض العلوم دون بعض

إن الفقه الإسلاميَّ كما دوَّنه العلماء يبحث في أعمال المكلَّف الظاهرة فقط، ولا يبحث في أحكام الباطن وأسرار هذه الأعمال ومقاصدها في تحقيق عبودية المكلف، فالعلم الذي يهتم بأحكام البواطن هو علم التزكية والتصوف، مثل كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، وعلى هذا فهل يصح علم الفقه بغير علم التزكية أو العكس؟ قطعا لا يصح، فالفصل بينهما إنما هو لحاجة التعليم فقط، وإلا فعلى طالب العلم الإحاطة بكليهما، وقُلْ مثل ذلك في علم أصول الفقه، وعلوم اللغة، وعلم الحديث، وعلمي العقائد والتفسير...الخ.

فهل يصح وجود مُفَسِّرٍ لا إحاطة عنده بعلوم اللغة من نحو وصرف وبيان ومعاني...الخ؟، أم هل يصح وجود فقيهٍ مجتهدٍ من دون أن يكون محيطاً بعلم أصول الفقه وعلم الحديث؟، بل كلُّ عِلْمٍ لا يَكْمُلُ البحث فيه لأهله إلا إذا كانوا قد أسسوا لأنفسهم قاعدة صلبة في كل العلوم، ولا يشترط بلوغ الكمال في كل علم، بل التوسط في كل علم كافٍ؛ وهو ما عبَّرنا عنه بالمرور في المستويات الثلاث الآنفة الذكر، فاللذي يَمُرّ في هذه المستويات الثلاثةِ ويُحْكِمُها هو الذي يُقال عنه أنه متوسط في العلوم.

٤ – الكتب المَدَاريِّة والكتب المساعِدَة

الكتب التي تقرأ وتدرس في كل مستوى على ضربين؛ كتب مدارية وكتب مساعدة، وإليك التفصيل:

الضرب الأول: كتب مدارية، مفرد مدار، فالكتاب المدار هو الذي ينبغي على الطالب أن يدور حوله إلى أن يتقنه ويحفظه ويحيط بمسائله، فالطالب يقرأ هذا الكتاب على شيخ إن توفر، بحيث يكون هذا الكتاب هو العمدة الذي يتخرج به الطالب بحسب مستواه، والمشايخ يوصون بأن يقرأ الطالب المقدار الذي سيأخذه قبل الدرس مرتين تحضيرا، وبعد الدرس يقوم بقرائته ثلاث مرات، فيكون الحاصل أن الطالب قد قرأ الكتاب خمس مرات قراءة ضبط وتحقيق، فيستفيد فائدة عظيمة، وهناك من المشايخ من لا يكتفي بذلك، بل يشترط القراءة خمس مرَّاتٍ قبل الدرس وخمس مرات بعده، ويقولون في ذلك: "من قرأ خمسا في خمس؛ لم يَنْس"، هذا من حيث شرط الصحة، وأما شرط الكمال في تحقيق العلوم فيحتاج إلى أكثر من ذلك، وخصوصا في الكتب المطولة التي تدرس في المستوى الثالث مثل "المنهاج" للإمام النووي، وتفسير الإمام البيضاوي، فهذا السيد الشريف قد قرأ شرح المطالع أربعة عشر مرة قبل أن يذهب ويقرأه على مصنفه قطب الدين الرازي، وهذا عالم آخر قرأ الرسالة للإمام الشافعي أكثر من ثلاثين مرة؛ كل مرة يستفيد أمورا جديدة، فشمِّر عن ساعد الجِدِّ ولا تكْسَل.

الضرب الثاني: كتب مساعدة، وهي كتب ينبغي على طالب العلم وهو يدرس في كتاب المدار أن يُطالِعها ويُحَضِّرَ منها ويتوسّع فيها، وهي ليست مراجع كبيرة بالضرورة، بل هي كتب بنفس المستوى الذي يدرسه الطالب في العادة، ولكنها قد لا تكون مؤلفة للتدريس، أو تكون في أبواب و مسائل معينة، أو تكون مساعدة ومسهِّلة للطالب في الكتاب الذي يدرس فيه، أو غير ذلك من دواعي قرائتها، والحقيقة أن دواعي قرائة الكتب المساعدة تشتد بعد إنهاء المستوى الأول في العلم، فهي في المستوى الثاني والثالث أشد، وبعدهما أشد وأشد.

ومن نفس الباب وضع العلماء الحواشي، فكثير من الحواشي تقوم على فكرة جمع البحوث والنقول التي يحتاجها طالب العلم أثناء قرائته للكتاب، فهم سهّلوا على طالب العلم مشقة الرجوع إلى المصادر والكتب المساعدة بذكر خلاصة ما يحتاجه منها على حاشية الكتاب، من الأمثلة على ذلك حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي وغيرها كثير، ولكن ليس كل الحواشي كتبت على هذا النهج

ومن أجل هذه الغاية، فهناك حواشٍ منهجها مختلف وغايتها مغايرة، وهي على كل حال مناهج في الكتابة والتدريس، فمن أعجبه شيء منها دون آخر فلا تثريب ولا لوم، ولكن ليس معنى هذا أن الحواشي تغني عن الكتب المساعدة بالكلية،لا، لا تغني عنها وإنما تسهل على الطالب بعض الشيء فقط، والطالب النبيه الجاد يظهر له أثناء دراسته مدى حاجته لمطالعة الكتب المساعدة ومراجعتها.

مثال على الكتب المساعدة:

يُدرس في المستوى الثاني في علم أصول الفقه كتاب "منهاج الوصول إلى علم الأصول" للإمام البيضاوي، هذا من كتب المدار وعليه شروح كثيرة، وينبغي للطالب أن يطالع معه كتبا أخرى مثل كتاب "أصول الفقه" للعلامة أبي النور زهير-عالم معاصر من علماء الأزهر-، فهذا الكتاب عبارة عن ترتيب وتهذيب وتبسيط شرح الأسنوي على المنهاج، فخلاصة شرح الإسنوي على المنهاج قد وضعها هذا العلامة في كتاب مؤلف على الطريقة الحديثة في التأليف.

ومن الكتب المساعدة في هذا المستوى أيضا كتاب الإسنوي "تخريج الفروع على الأصول"، حيث يذكر قاعدة من علم أصول الفقه ثم يذكر ما ينبني عليها من فروع فقهية وخلاف، وهذا يقوي ملكة الإستنباط عند الطالب.

ولا بد أن يحتاج طالب العلم أثناء دراسته لهذا الكتاب أن يرجع إلى أمهات التفاسير العظيمة ليراجع تفسير بعض الآيات التي يحتج بها الأصوليون على صحة مذاهبهم، وخصوصا إن كان في استشهادهم بها غموض أو نظر، إذ الكلام عنها في أصول الفقه يكون مُقتَضبَا جدا، ومُقتَصِراً منها على محل الشاهد فقط.

ومهم جدا إذا مر الطالب بأحد مباحث الكتاب التي كثر الكلام فيها من المعاصرين، وكثر فيها الخبط والغلط، أن يتوسع فيها بعض الشيء، ويطَّلع على ما قاله المعاصرون والمخالفون فيها، وذلك مثل مبحث المناسبة المبحوث في مسالك العلة في باب القياس، فهذا المبحث هو المدخل إلى الكلام عن مقاصد الشريعة، وصحة التعليل بها وغير ذلك، وهذا المبحث قد أكثر المعاصرون من طرق باب بحثه وعلى غير الصراط القويم، فتخبطوا فيه خبطا شديدا وكادوا أن يخرجوا بسببه عن ربقة الدين، فعلى الطالب أن يحقق هذا المبحث زيادة تحقيق، ويحيط منه بالمعاقد، ويغوص فيه إلى الأعماق مقتنصا لدرره

والفرائد، وكم يكون طيبا لو كتب رسالة يبين فيها مواطن الخلل في بحوث المعاصرين؛ فيكشف عن مغالطاتهم ويرد على شبهاتهم، ويبين لهم ولغيرهم خلاصة الحق في هذه المسألة، واضعا الأمور في نصابها، كاشفا عن المخبآت حجابها، والله الهادي إلى سواء السبيل.

وكم يكون جيدا بعد أن ينهي الطالب دراسة كتاب المنهاج أن يقرأ كتاب المستصفى للإمام الغزالي قراءة ضبط وتمحيص، يستدرك منه ما فاته، ويؤهله بقوة لدراسة أحد المطولات في المستوى الثالث.

وما قيل في الكتب المساعدة في علم أصول الفقه يقال في غيرها من العلوم، ونحن في الخطة التي سنضعها بعد قليل لن نذكر الكتب المساعدة إلا نادرا، وإلا طال الكلام وتشعَّب، فعلى الطالب أن يستشير العلماء وطلبة العلم المجدِّين في ذلك، فهم أدرى وأخبر، والله أعلم.

٥ – هذه هي الطريق إلى الوراثة النبوية

بهذه الطريقة –الموضحة فيما سبق– يُطلب العلم، وتُدْرَسُ العلوم، وتُكَوَّنُ الملكات العلمية التي تؤهل صاحبها للإبداع والتجديد، وأما قبل ذلك، وعلى غير طريقة الأكابر؛ فإنّ الذي يدّعي التجديدَ كلابسِ ثوبَي زُوْر، أَمْرُهُ مفضوح عند العلماء الاكابر، وإن وجد لنفسه سوقاً رائجةً عند الدَهْماء وصغار طلبة العلم.

إنّ العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثوا عنهم علمهم وحالهم ووظيفتهم، ولم يزالوا يتوارثونها كابراً عن كابر، نَعَمْ؛ إنها الوراثة النبوية، إنه الإرث النبوي الذي سيظل باقيا فينا ما دام العلماء الراسخون متواجدون، فإذا قَبَض الله أرواح العلماء فقد قُبِض هذا الإرث النبوي، قال عليه الصلاة والسلام: " إن الله لا يقبض هذا العلم انتزاعا، ولكن يقبضه بقبض العلماء..."

وعلى هذا؛ فطالب العلم هو على الحقيقة طالبٌ لوراثة هذا الإرث النبوي، طالبٌ لأن يُصْبح وارثاً نبوياً لسيد الرسل والأنبياء محمد –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم–، طالبٌ للتحقُّقِ بما يُصَحِّحُ له أن يكون قائماً مقامَ النبيِّ عليه الصلاة والسلام في التعليم، والتزكية، والدعوة، والإرشاد، ولَعمري إنه لمقام عظيم، عظيمٌ جداً، وخَطِرٌ أيضاً.

وحتى لا نُطِيل؛ نَضَعُ بين أيديكم خطةً علميةً للمستويات الثلاثة في أهم العلوم، ثم تفصيل الكلام في المرحلة الأولى على الخصوص، وهي خطةٌ مستمدةٌ من طريقة العلماء الأكابر في التعليم والتدريس، وعلى الله التكلان، وهو أَحَقُّ من سُئِلَ، وأَكْرَمَ مَن أَعْطَى.

الخطة الكاملة للكتب "المداريّة" التي تُدْرَسُ في العلوم الشرعية

علم أصول الدين"العقيدة"

المرحلة الأولى: "العقيدة الطحاوية" أو "الخريدة البهية"، وبعد ذلك: "السنوسية" أو "جوهرة التوحيد".

المرحلة الثانية: شرح العقيدة النسفية للسعد التفتازاني، وإتقان أهم الحواشي عليه[٧].

المرحلة الثالثة: شرح طوالع الأنوار للإمام الأصفهاني، وإتقان أهم الحواشي عليه [٨].

علم أصول الفقه:

المرحلة الأولى:"الورقات" لإمام الحرمين، وبعده "لُبّ الأصول" لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

المرحلة الثانية: "منهاج الوصول إلى علم الأصول" للإمام البيضاوي[٩].

المرحلة الثالثة: مختصر ابن الحاجب، أو جمع الجوامع، وما عليهما من شروح وحواشي.

الفقه الشافعي:

المرحلة الأولى: متن "الغاية والتقريب" للإمام أبي شجاع.

المرحلة الثانية: "عمدة السالك وعدة الناسك" لابن النقيب، أو نظم الزبد لابن رسلان.

المرحلة الثالثة: "منهاج الطالبين" للإمام النووي، أو "منهج الطلاب" للإمام زكريا الأنصاري وشروحهما.

---

[٧] ويطالع في هذه المرحلة كتاب "الإقتصاد في الإعتقاد" للإمام الغزالي و كتاب "المعالم في أصول الدين" للفخر الرازي.

[٨] ويطالع في هذه المرحلة كتاب "الأربعين في أصول الدين" للإمام الرازي و كتاب "الإرشاد" للإمام الجويني.

[٩] يفضل الشيخ سعيد فودة أن يقرأ المنهاج الأصولي على مرحلتين: الأولى ويهتم فيها بفك عبارة المتن وفهمها، ويعتمد الطالب في هذه المرحلة على شرح الأصفهاني أو شرح ابن الجزري، والمرحلة الثانية ويهتم فيها بالتوسع والتعمق في مباحث الكتاب، ويعتمد الطالب في هذه المرحلة على الشروح الموسعة للمنهاج من مثل شرح السبكي وشرح البدخشي وشرح الأسنوي مع حاشية المطيعي.

علم النحو:

المرحلة الأولى:

١ – متن "الآجرومية" للعلامة ابن آجروم.

٢ – شرح كل من: قطر الندى، وشذور الذهب لابن هشام الأنصاري.

المرحلة الثانية:

- ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل وحاشية الخضري عليه.
- أو كافية ابن الحاجب مع شرحه عليها أو ما قاربه.

المرحلة الثالثة:

- ألفية ابن مالك بشرح الأشموني وحاشية الصبان عليه، أو بشرح ابن هشام وحاشية الأزهري عليه "التصريح على التوضيح".
- أو كافية ابن الحاجب بشرح ملا الجامي وحواشيه، أو بشرح الرضي الإستراباذي.
- ثم حاشية الدسوقي على "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام الأنصاري.

علوم البلاغة:

المرحلة الأولى: المنهاج الواضح في البلاغة للأستاذ العلامة حامد عوني، الجزئين الأول والثاني.

المرحلة الثانية: المنهاج الواضح في البلاغة للأستاذ العلامة حامد عوني، الأجزاء الثالث والرابع والخامس.

المرحلة الثالثة:

- شرح السعد المختصر على التلخيص مع مجموعة الحواشي، وأهمها حاشية الدسوقي.
- أو شرح السعد المطوّل على التلخيص مع حواشي السيد الشريف والسيالكوتي.

علم الصرف:

المرحلة الأولى: "نظم المقصود" لأحمد بن عبد الرحيم أو "شذا العرف في فن الصرف" للحملاوي.

المرحلة الثانية: "مختصر التصريف العزي" للزنجاني مع شرح السعد التفتازاني، وأحد حواشيه.

المرحلة الثالثة: شافية ابن الحاجب: مع شرح الرضي الإستراباذي عليها.

علم مصطلح الحديث:

- المرحلة الأولى: البيقونية أو نخبة الفكر لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني.
- المرحلة الثانية: مقدمة ابن الصلاح أو تدريب الراوي للإمام السيوطي.
- المرحلة الثالثة: ألفية العراقي أو ألفية السيوطي وشروحهما...الخ.

علم المنطق:

المرحلة الأولى: متن "إيساغوجي" لأثير الدين الأبهري، أو "السلم المنورق" للإمام الأخضري.

المرحلة الثانية: شرح "تهذيب المنطق" للعلامة الخبيصي وحاشية العطار عليه.

المرحلة الثالثة: شرح القطب على الشمسية مع حواشي السيد عليه.

تفصيل الكلام في الكتب التي تدرس في المرحلة الأولى مع ذكر أفضل طبعاتها

علم أصول الدين"العقيدة"

المرحلة الأولى: "العقيدة الطحاوية" أو "الخريدة البهية"، وبعد ذلك: "السنوسية" أو "جوهرة التوحيد".

- العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي، شروح أهل السنة على الطحاوية كثيرة[١٠]، والمطبوع منها هو شرح الإمام الغزنوي، وشرح الإمام البابرتي، وشرح الغنيمي الميداني، وشرح "نور اليقين"، وشرح العلامة اسماعيل الشيباني"٦٢٩هـ"، ومن الشروح المعاصرة هناك شرح الشيخ سعيد فودة "المختصر"[١١]، وهو منشور على النت، وللشيخ سعيد شرح أكبر منه " وهوالشرح الوسيط على الطحاوية" وهو في طريقه إلى الطباعة، والذي يراه العبد الفقير أن أنسب وأنفع هذه الشروح لطالب العلم المبتدئ في هذا العصر هو شرح الإمام الغزنوي وشرح الشيخ العلامة سعيد فودة "المختصر"، فإن أراد التوسع فعليه بالشرح الوسيط.
- "الخريدة البهية" للإمام أحمد الدردير، وأفضل شروحها هو شرح الإمام الدردير نفسه[١٢]، وعلى هذا الشرح حاشية في غاية الإفادة، وهي حاشية العلامة محمد بخيت المطيعي[١٣].
- السنوسية"أم البراهين" للإمام السنوسي، من الشروح المفيدة لمن أراد أن يبتدأ في هذا المتن الجليل هو شرح الهُدْهُدي، وعليه حاشية الشرقاوي[١٤]؛ يقرؤها الطالب بعد أن يُحْكِمَ الشرح، ثم يقرأ بعدها حاشية الدسوقي على شرح الإمام السنوسي[١٥] على سنوسيته، وهذه الحاشية في غاية المتانة والروعة.

---

[١٠] وليس منها شرح ابن أبي العز الحنفي، إذا خالف في شرحه الإمام الطحاوي في عشرات المسائل الأصلية، فهو نَقْدٌ وليس بشرح، وهو يبين رأي ابن تيمية وليس رأي الطحاوي، ولك أن تقارن بينه وبين شرح الشيخ سعيد فودة ثم احكم بنفسك.

[١١] معظم الشروح السابقة قد وضعتها كاملة في خانة أصول الدين.

[١٢] طبعته دار البصائر بمصر طبعة حديثة.

[١٣] طبعتها دار البصائر طبعة مصورة عن القديمة.

[١٤] طبعت الشرح والحاشية دار مصطفى البابي الحلبي، ولا أدري إن طبعت طبعة حديثة.

[١٥] طبعت الشرح والحاشية دار الكتب العلمية طبعة ممتازة.

وهناك شرح جليل للسنوسية وهو شرح العلامة أحمد الأنصاري، وقد هذبه فضيلة الشيخ سعيد فودة ليناسب أهل هذا العصر، واسمه: "تهذيب شرح السنوسية"[16]، وحلاه بحواشٍ عزيزة، فمن أراد أن يبدأ به فله ذلك، فهو شرح معاصر ومتين.

- جوهرة التوحيد للإمام اللقاني، يُبدأ بشرح الإمام البيجوري أو الصاوي، ومن أراد التوسع والتحقيق فعليه بشرح الإمام اللقاني نفسه"هداية المريد"، وقد طبع مؤخرا في دار البصائر في مصر، وعليه حواشٍ وتعليقاتٍ في غاية الإفادة.

علم أصول الفقه:

المرحلة الأولى: "الورقات" لإمام الحرمين، وبعده "لُبّ الأصول" لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

- أفضل شروح "الورقات" هو شرح الإمام المحلي[17]، فعلى الطالب أن يُحكمه أولا، ومن ثم يقرأ عليه حاشية النفحات لأحمد بن عبد اللطيف الجاوي[18]، أو شرح الإمام العبادي على شرح المحلي الذي اسمه "الشرح الكبير"[19]، ويكون من الأفضل للطالب قبل قراءة هاتين الحاشيتين أن يقرأ حاشية شيخنا الشيخ سعيد فودة على شرح المحلي[20]، فهي أبسط وأكثر ملاءمة لطلاب هذا العصر، وهناك شرح جليل للورقات هو شرح الرعيني الخطاب، وعليه حاشية فريدة اسمها حاشية السوسي، والإمام الحطاب والسوسي من المالكية، وجميع المذكورين قبلهم من الشافعية.
- "لب الأصول"[21]: شَرَحَهُ مؤلِّفه شرحا متينا، وهذا الكتاب لا يَصلُح أن يُبتدأ به، بل يقرأ بعد الورقات، وإذا كان الطالب قد أحكم شرح المحلي مع أحد حواشيه فلا حاجة له بهذا الكتاب، بل ينتقل إلى المرحلة الثانية ويدرس كتاب المنهاج.

---

[16] طبعته–للمرة الثانية– دار الرازي في الأردن.

[17] طبع طبعة جبدة بتحقيق الدكتور حسام الدين عفانة في فلسطين، وله عدة طبعات جيدة ومنتشرة.

[18] طبعتها دار الكتب العلمية طبعة جيدة.

[19] طبعته دار الكتب العلمية، ويا ليت لو طبع في غيرها بصورة أحسن.

[20] منشورة على النت.

[21] طبعته دار مصطفى البابي الحلبي بمصر ولا أدري إن طبع مؤخرا طبعة أحدث.

الفقه الشافعي:

المرحلة الأولى: متن "الغاية والتقريب" للإمام أبي شجاع.

- متن الغاية والتقريب " متن أبي شجاع" : هذا مختصر فقهي جليل، إن كان الطالب مبتدأً جداً بحيث ليس له اطلاع على الفقه البتة، فعليه أن يضبط المتن لوحده على شيخ ــإن توفرــ، فيحفظ المتن ويفهم مسائله، وبعد ذلك يقرأ شرح الإمام محمد بن قاسم الغزي[٢٢]، فهو أشهر وأنفع شرح عليه في هذا المستوى، وعليه حواش كثيرة، أنفعها حاشية الإمام البيجوري[٢٣]، وهناك شرح أكبر من شرح ابن قاسم ــضعفه تقريباــ وهو شرح الخطيب الشربيني ــلا يقرأ ابتداءًــ، وعلى هذا الشرح حاشية دقيقة وكبيرة –أربع مجلدات–، وهي حاشية البيجرمي[٢٤]، فالطالب إذا ضبط شرح الخطيب الشربيني مع حاشية البيجرمي كاملة يكون بذلك قد أنهى المرحلة الثانية بتمكن، وأما إذا اقتصر على شرح ابن القاسم فعليه أن يتابع ويدرس كتابا مخصصا للمرحلة الثانية.

علم الصرف:

المرحلة الأولى: "نظم المقصود" لأحمد بن عبد الرحيم أو "شذا العرف في فن الصرف" للحملاوي.

- نظم المقصود لأحمد بن عبد الرحيم وهو نظم شعري مشهور ومتين، وعليه شرح العلامة محمد أحمد عليش الأزهري[٢٥]، ويضارعه في مستواه –وأكثر– من الكتب المعاصرة كتاب: "شذى العرف في فن الصرف" للحملاوي، وهو مشهور متداول، والله أعلم.

[٢٢] طبعته دار ابن حزم بعناية، وكذلك دار البصائر ودمجته مع نظم المتن.

[٢٣] أفضل طبعاتها طبعة دار الفكر.

[٢٤] أفضل طبعاتها طبعة دار الفكر، وقد طبعتها مؤخرا على نوعين من الورق؛ الأول أصفر، والثاني أبيض مع جدول أخضر، والثاني أفضل وأمتن وأجمل وأغلى.

[٢٥] في دار مصطفى البابي الحلبي بمصر.

علم النحو:

المرحلة الأولى:

١ – متن "الآجُرُّوميَّة" للعلامة ابن آجروم.

٢ – شرح كل من: "قطر الندى"، و"شذور الذهب" لابن هشام الأنصاري.

- الأجرومية ، إذا توفر شيخٌ فعلى الطالب أن يدرس عليه إما "شرح الكفرواي على الأجرومية"[٢٦] أو شرح الأزهري عليها أيضا، وعلى كل منهما حواشٍ مفية، أما إذا لم يتوفر الشيخ فغير هذين الشرحين قد يكون أليق وأسهل، فيبدأ الطالب بـ"التحفة السنية في شرح الأجرومية"[٢٧] لمحمد محيي الدين عبد الحميد، فهو شرح سهل جدا ، وعَذْبٌ أيضا، ثم يُثنّي بأحد الشرحين السابقين مع حاشيته، أو يثني بشرح جليلٍ يَجمع بين غزارة المعنى وسهولة اللفظ، وهو شرح "نور السجية في حلِّ ألفاظ الآجرومية"[٢٨] للإمام الخطيب الشربيني، ولكي يتمرن الطالب على الإعراب فعليه بأحد الكتب التي أعربت متن الأجرومية نفسه[٢٩]، فهو بهذا يجمع بين التصوير النظري والتطبيق العلمي.
- شرح "القطر" و"الشذور"[٣٠]: بعد أن يحكم الطالب أحد الشروح الثلاثة السابقة أحكاما جيدا عليه أن يقرأ هذين الكتابين الجليلين لابن هشام في مدة لا تزيد عن سنة_ هذا هو منهاج الأزهر_، فيستدرك ما فاته من الأجرومية في هذين الكتابين، فبهذا يكون مؤهلا للدخول في المرحلة الثانية وهي الألفية.

---

[٢٦] أحسن طبعة هي التي أصدرتها دار البصائر في مصر؛ فهي طبعة حديثة.

[٢٧] مشهور ومتداول في جميع المكتبات.

[٢٨] طبعته دار المنهاج في السعودية طبعة فاخرة، وألحقت به متن الآجرومية مشكولا ونظم الآجرومية وإعراب كامل لمتن الآجرومية.

[٢٩] مثل كتاب الخريدة البهية في إعراب ألفاظ الآجرومية للعلامة العجيمي، والتي طبعتها دار البصائر حديثا مع حاشية العشماوي على متن الآجرومية، وهي حاشية سهلة ورائعة، توضح المتن وتضرب مثالا ثم تعرب هذا المثال.

[٣٠] أحسن طبعة لهذين الكتابين التي حققها وعلق عليها العلامة محمد محيي الدين عبد الحميد، وهي مشهورة متداولة، طبعتها كثير من دور النشر.

علوم البلاغة:

المرحلة الأولى: المنهاج الواضح في البلاغة للأستاذ العلامة حامد عوني، الجزئين الأول والثاني.

"المنهاج الواضح في البلاغة"[٣١] هذا الكتاب مقرر على طلبة الأزهر وهو مؤلف لهم بالأصالة، وقد أثنى عليه المشايخ جدا وخصوصا الشيخ سعيد فودة، والكتاب مؤلف من خمسة أجزاء، الجزءان الأولان منه مخصصان للمستوى الأول في علوم البلاغة، ويبلغ مجموع صفحاتهما معا "٣٥٠" صفحة تقريبا، والجزءان الثالث والرابع جعلهما المصنف للمستوى الثاني في علم البلاغة، ويبلغ مجموع صفحاتهما معا "٧٠٠" صفحة تقريبا، والجزء الخامس قد أودعه المؤلف زيادة تحقيقات في بعض مسائل علم البيان من جميع الأبواب، ويبلغ عد صفحاته "١٥٠" صفحة تقريبا، وكتاب المنهاج الواضح هذا كتاب في غاية التحقيق والجمال، مع بسط العبارة وحسن التقسيم، وكثرة الأمثلة والشواهد والاختبارات، وينبغي ان يقرأ قراءة ضبط وتمحيص ويكرر ذلك، فهو لعمري يستحق ذلك وأكثر.

وهناك كتاب معاصر وجيد أيضا، وهو "جواهر البلاغة" للسيد أحمد الهاشمي، وهو مشهور متداول.

علم مصطلح الحديث:

المرحلة الأولى: البيقونية أو نخبة الفكر لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني.

- نظم البيقونية :وهو نظم صغير عليه شروح كثيرة، من أفضلها شرح الإمام الزرقاني، وعلى هذا الشرح حاشية مفيدة وهي حاشية الأجْهُوري[٣٢].
- نخبة الفكر: هذا المتن أوسع وأشمل من البيقونية، ويستطيع الطالب المبتدئ أن يشرع فيه بسهولة، والشرح المشهور له هو شرح شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني نفسه، وعلى هذا الشرح حاشية لتلميذ ابن حجر وهو ابن قطلوبغا[٣٣].

[٣١] إصدار المكتبة الأزهرية للتراث بمصر.

[٣٢] في دار مصطفى البابي الحلبي بمصر.

[٣٣] إصدار دار الوطن في السعودية.

ومن الكتب المعاصرة الممتازة في علم المصطلح كتاب "تيسير مصطلح الحديث"[٣٤] لفضيلة الشيخ محمود الطحان، فخلاصة ما في شرح نزهة النظر ــوزيادةــ تجده في هذا الكتاب، مع حسن تبويب، وتقسيم، وضرب أمثلة، والله أعلم.

علم المنطق:

المرحلة الأولى: متن "إيساغوجي" لأثير الدين الأبهري، أو "السلم المنورق" للإمام الأخضري.

- متن ايساغوجي؛ أفضل الشروح عليه هو شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وعلى هذا الشرح حاشية قوية للعلامة محمد عليش[٣٥]، ومن الشروح المفيدة أيضا شرح الفناري[٣٦]، ويوجد على شرح الفناري حواشي كثيرة في غاية الإفادة.
- السلم المنورق: أسهل الشروح وأنفعها عليه هو شرح الإمام الدمنهوري[٣٧]، ويوجد على نفس المتن حاشية الإمام البيجوري، ولو قرأ الطالب شرح الدمنهوري وأحكمه ثم قرأ شرح الشيخ سعيد عليه وهو "المسير في فهم معاني السلم"[٣٨] مع تعليقات الشيخ بلال النجار عليه، أقول: لو فعل ذلك لأحكم المرحلة الأولىــ بل أكثر من ذلكــ إحكاما قويا واستفاد جدا.

---

[٣٤] طبعته منتشرة في جميع المكتبات.

[٣٥] إصدار المكتبة الأزهرية للتراث في مصر.

[٣٦] طبع مع حواشيه حديثا في استنبول"أي طبعة تركية"، ولا أعرف عن الطبعات الأخرى.

[٣٧] طبع طبعة حديثة محققة في دار البصائر بمصر.

[٣٨] إصدار دار الرازي في الأردن.

بسم الله الرحمن الرحيم

يجب قراءة ١٢ ساعة يوميا

جدول ساعات الدراسة

الأسبوع الأول:

اليوم	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	النتيجة
عد الساعات	12\	12\	12\	12\	12\	12\	12\	12\

ملاحظات:.......................

الأسبوع الثاني:

اليوم	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	النتيجة
عد الساعات	12\	12\	12\	12\	12\	12\	12\	12\

ملاحظات:.................................

الأسبوع الثالث:

اليوم	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	النتيجة
عد الساعات	12\	12\	12\	12\	12\	12\	12\	12\

ملاحظات:.......................

الأسبوع الرابع:

اليوم	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	النتيجة
عد الساعات	12\	12\	12\	12\	12\	12\	12\	12\

ملاحظات:.......................

****التقييم الأسبوعي:**

- **80 ساعة فما فوق:ممتاز وإلى الأمام(100 ساعة في الأسبوع).**
- **70_79ساعة:جيد جدا.**
- **60_69ساعة:جيد.**
- **50_59ساعة:مقبول.**
- **أقل من 50 ساعة:راسب وفاشل،فجدد العزم وانطلق.**

****تنبيه:أوقات الدروس وحفظ القرآن محسوبة، أما التلاوة والأذكار فلا.**